موقع تيهرت بين الطرق التجارية بالغرب الإسلامي

صلاح الدين حميدي، جامعة تلمسان د/ وهراني قدور، جامعة تلمسان

ملخص:

إن موضوع الطرق التجارية في المغرب الأوسط من المواضيع الجديرة بالبحث والتعمق فيها، إذ يكون من الصعب فهم تاريخ المغرب الأوسط دون أن نتناول وبشيء من التحليل والتدقيق تاريخ الحركة التجارية، ففهم الحركة الاقتصادية لبلاد المغرب الأوسط لن يتم دون الإلمام بتطور التجارة وشبكة طرقها. فهذه الأخيرة ساهمت في تنشيط حركة المعاملات التجارية. ومن هذا المنطلق، ستتم في هذا البحث تقديم رؤية حول الطرق التجارية في بلاد المغرب الأوسط وخاصة التي كانت تنطلق من تيهرت أو تعبرها. وأثناء تناولنا لهذا الموضوع راودتنا مجموعة من التساؤلات طرحت نفسها بقوة وهي : ما هي أبرز الطرق التجارية التي عرفتها تيهرت؟ ما هي الأدوار التي لعبتها الطرق والمسالك التجارية؟ ما هي أبرز السلع التي كانت موجهة للتصدير؟ و ما هي الأقاليم و الأمصار التي كانت توجه إليها؟

الكلمات المفتاحية: المغرب الأوسط- تيهرت – الحركة التجارية- الطرق التجارية.

Abstract : The subject of commercial routes in the middle of Morocco is one of the topics that need to be explored. It is difficult to understand Morocco's history without dealing with the history of commercial movement. The economic movement of the Maghreb will not be realized without the knowledge of the development of trade and its road network. The latter contributed to the revitalization of the movement of commercial transactions. From this point of view, a vision will be presented in this paper on the commercial routes in the Middle Maghreb, especially those that were launched from Teheran or through them. As we discussed this issue, we were confronted with a series of questions that raised itself strongly: What are the most prominent commercial methods Teether has known? What roles did commercial roads and routes play? What are the most prominent commodities that were export-oriented? What are the regions and places to which they were directed?

Keywords: Middle East - Teherat - Commercial Traffic - Commercial Roads.

تمهيد:

تعد وسائل النقل والمواصلات في أي إقليم من المقومات الأساسية التي تساهم في استغلال وتنمية موارده الاقتصادية، ومنها التجارة التي تعتمد على مدى توفر وسهولة سبل النقل بأنواعه المختلفة التي تصل تلك الأجزاء ببعضها البعض، وتدعم وحدة الإقليم وتربط بين سكانه. (صبحي ع، 1968:ص

544.) فالطرق شريان حياة المجتمع الكلي، وأساس تنظيم المجال وإعادة تنظيمه باستمرار. وقد أنتجت أهمية الطرق في التاريخ الإسلامي صراعا اجتماعيا صارخا في مراحل الأزمات السياسية التي مرت بها الأنظمة الحاكمة، وصامتا على امتداد التاريخ كله سلما وحربا. (لعلوي. هـ. 1995.360.) وقد سلك التجار العرب عدة طرق في رحلاتهم الداخلية والخارجية وعرفوا نوعين من الطرق هما: الطرق البرية وتعرف بطرق القوافل ومن تسميتها تسلكها قوافل الحيوانات ويختلف الحيوان المستعمل في النقل من جهة لأخرى حسب الطبيعة الجغرافية لهذه المنطقة أو تلك، فتستعمل الجمال، وكذا استخدمت البغال والحمير في المناطق الجبلية وتسير تلك القوافل في طرق غير سالكة وليست واضحة المعالم وتعرف بالمدقات أو الدروب. (صبحي ع، 1968: 552-553)

كما عرفوا الطرق البحرية: وتستخدم فيها السفن والزوارق لنقل السلع التجارية نتيجة اتساع وامتداد أراضيها المطلة على جهات بحرية طويلة على ساحل البحر الأطلنطي والبحر المتوسط، مما جعل سائر البلاد العربية الإسلامية بدون استثناء ذات سواحل ومنافذ بحرية اشتهرت بها منذ القدم وهي ذات موانئ طبيعية.

1-دور الطرق والمسالك:

كانت للطرق دور كبير في ربط مدن المغرب الأوسط سواء فيما بينها أو فيما بينها وبين مدن المغرب الإسلامي الخارجية، والتخفيف من صعوبة المواصلات بين المناطق الداخلية والساحلية، وعملت على الربط بين المراكز الصحراوية والمدن الرئيسية ناهيك عن دورها في سير القوافل التجارية المحملة بالبضائع سواء الموجهة للتصدير أو الآيبة بالواردات. (لعلوي. هـ . 1995: 387.) ومن خلال اطلاعنا على المصادر الإخبارية والجغرافية يمكن معرفة قيمة هذه الطرق والمسالك التي ربطت مدن المغرب الأوسط ومنها تيهرت. وكثيرا ما نسمع في النصوص الواردة في المصادر: ومن مدينة كذا إلى مدينة كذا مرحلتين أو ما شابه ذلك" فالمقصود من هذا هو المسلك المؤدي إلى المدن. كما كانت المسالك طريقا للحجاج وممرا لعابري السبيل والقاصدين لمدن أخرى لقضاء حاجياتهم. (سمير.م. 2015: 120)

كما أن دور الطرق لا ينحصر في ميدان التجارة والربط بين المدن بل تعددت أدوارها، فنجدها قد ساهمت بقدر كبير في الرحلات العلمية والاستكشافية التي بفضلها تمكنا من معرفة الخريطة الجغرافية لمدن وأقاليم بلاد المغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة ومعرفة أحوال سكانه الاقتصادية والاجتماعية. (سمير.م. 2015: 121)

كما لعبت الطرق التجارية دورا هاما في المبادلات التجارية حيث أن القوافل التجارية كانت تعبر هذه الطرق والمسالك ذاهبة بالصادرات وآيبة بمنتوجات أخرى إما لضربها في المدن أو إعادة المتاجرة بها مرة أخرى، فكانت المتنفس الوحيد لعيش سكان المدن والأرياف بحكم امتهان أغلبهم لحرفة التجارة

خاصة مع تعددها واستقرارها وتوفر الأمن بها، إلا أنها عانت في فترات من عدم الاستقرار بفعل الحروب وفرض الحصار على المدن، فتعطل هذه المسالك ينتج عنه تأزم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية. (سمير.م. 2015: 120)

بدأت شبكة الطرق على مر العصور من مركز وانتهت بمركز آخر، وكان نشاط حركتها هو الذي يحدد أهمية تلك المراكز. وهنا يأتي عامل الموقع ودوره في نمو المركز وتحويله إلى مدينة بأبعادها الحضارية على طول الطرق الرابطة بين جميع الجهات المحلية والعالمية. وبالتالي نقف أمام مسألة البنية التاريخية ودورها في تنظيم وتطوير هذه الشبكة من جهة، وتطرح أيضا في الجوانب السلبية الأخرى من حيث الإهمال والتخريب والعرقلة بإفساد السابلة(لعلوي. ه . 1995: 360.). واتخذت مقاييس لقياس المسافات القصيرة والطويلة، وهي لا تختلف عن مثيلتها في بلاد المشرق، مثل المرحلة،(جمعة. ع. ص 56) والذراع (جودت عبد الكريم .ي . 1992 :. 73)، والفرسخ، والميل (جودت عبد الكريم.ي . 1992 :. 74)، واليوم (جودت عبد الكريم .ي . 1992 : 75).

2 تأسيس مدينة تيهرت:

أعطت لنا المؤلفات التاريخية معلومات هامة عن هذا الموضوع. وتتفق هذه المصادر على أنه بعد استفحال أمر الخوارج في المغرب وبخاصة الإباضية منهم الذين نجحوا في تأسيس دولة لهم بالمغرب الأدنى بقيادة أبي الخطاب عبد الأعلى المعافري سنة 140هـ /750م وسيطروا على القيروان سنة 141هـ. والتي عُين عبد الرحمن بن رستم واليا عليها لتصبح إفريقية تابعة للدولة الإباضية بطرابلس. (أبو زكريا. 1984 : 65)

وعلى إثر علم أبي جعفر المنصور بانفصال إفريقية، أمر واليه على مصر محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي باسترجاعها الذي سار بنفسه لملاقاة فلول الإباضية، وتم له القضاء على أبي الخطاب وجيشه في معركة تاورغة سنة 144هـ / 761م، وبالتالي القضاء على الدولة الإباضية بطرابلس. (ابن عذارى المراكشي، . 1993: 196) لذلك اضطر عبد الرحمن بن رستم إلى ترك القيروان والتوغل في المناطق الجبلية للمغرب الأوسط أين يكثر أتباع مذهبه من البربر (ابن خلدون . 2001: 147).واستقر بجبل سوفجج المنيع ذو الحصانة الطبيعية ضد الغزاة حيث علم بملاحقة الجيش العباسي له بقيادة محمد بن الأشعث الذي لم يستطع اقتحام الجبل رغم الحصار الطويل الذي ضربه على المنطقة، ولما يئس وخاف من انقلاب الوضع عليه بالمغرب الأدنى فك الحصار وعاد إلى القيروان. (أبو زكريا. 1984 : 65)

بمجرد انتشار خبر نجاح ابن رستم على خصمه بدأت تتوافد جموع الإباضية إلى المنطقة، (ابن خلدون . 2001: 147).ولما تكاثر عددهم رأوا ضرورة تأسيس كيان سياسي لهم ، فجاءت فكرة بناء مدينة تيهرت ما بين سنتي 156هـ-160هـ/772م-776م. (بحاز .إ. 1993: 84-85)

وهنا يذكر ابن عذارى أنهم عزموا على بناء مدينة تجمعهم ، فنزلوا تيهرت وهي منطقة غيضة على ثلاثة أنهار،(ابن عذارى المراكشي، . 1993: 196) وهي على بعد خمسة أميال من تيهرت القديمة، (ابن خلدون . 2001: 147).وتعرف بتيهرت الحديثة أو العليا ،والتي عرفت عند البربر بتاقدمت (البكري: 68) وهو ما يشير إليه كل من ياقوت الحموي في **"معجم البلدان"** والقلقشندي في "**صبح الأعشى"** وأبو الفدا في "**تقويم البلدان** "بأنها مدينتين قديمة وحديثة. أما عن تاريخ بنائها، فلم ترد إشارات لذلك في المصادر الجغرافية المشرقية، أما المؤرخين المغاربة فهناك اختلاف بينهم، فابن خلدون يجعلها سنة 144هـ / 761م، (ابن خلدون . 2001: 147)بينما يرى البعض الآخر أن ذلك تم سنة 161هـ / 777م كابن عذارى، (ابن عذارى المراكشي، . 1993: 196)

3-أهمية موقع تيهرت:

إن الإباضية قد وفقوا في اختيار موقع بناء حاضرتهم نظرا للمؤهلات التي يتوفر عليها وأهمها:

حصانة موقعها: فتمركزها بين جبال وأودية جعل الوصول إليها شاق وصعب، وفي السفح القبلي لهذه الجبال تربض المدينة محتمية بجدار طبيعي يصعب اقتحامه اختلفت المصادر في تسميته بين كزول وجزول. (اليعقوبي:198).

كما أن وقوعها في منطقة داخلية بعيدة عن الأخطار مثل خطر العباسيين نظرا لبعدها عن القيروان مقر الأغلبيين بالمغرب الأدنى بما يقارب ثلاثين مرحلة، وبينها وبين فاس خمسين مرحلة (الإصطخري. 1870: 46) كما أن موقعها يجعلها بعيدة عن أي خطر محتمل من البحر من جهة ويسهل سيطرتها على القبائل المتاخمة الصحراوية المتاخمة لها. (بحاز .إ. 1993: 89) كما أنها محاطة بقبائل تنتمي للمذهب الإباضي مما يجعلها في مأمن من هجمات المخالفين.

ومما زاد في أهمية موقع مدينة تيهرت توفره على مصادر مياه هامة و هو ما تتفق عليه جل المصادر الجغرافية المشرقية فالإصطخري يصفها بأنها " واسعة البرية والزروع والمياه". (الإصطخري. 1870: 39) ويؤكد اليعقوبي الفكرة نفسها فيقول: "شرب أهل مدينة تاهرت من أنهار وعيون يأتي بعضها من صحراء وبعضها من جبل قبلي يقال له جزول". (اليعقوبي:197).كما أن المقدسي يذكر أن الأنهار تحدق بها ووصفها بغزارة مياهها. (المقدسي 1906: 228)ويضيف ياقوت الحموي أنها تقع على نهرين هما نهر تاتش ونهر مينة. (الحموي. ي. 1977 :8) كما تتميز مدينة تيهرت بكونها محاطة بغابات كثيفة وهذا وصف جل الجغرافيين من أمثال المقدسي في قوله "التفت بها الأشجار".

إضافة إلى أن موقعها جعلها تقع على طريقين تجاريين مشهورين في القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي، طريق شرق غرب ، الطريق الشرقي نحو القيروان مرورا بالزاب وطريق غربي يربط تيهرت بفاس، وطريق شمال جنوب يربط أحدهما تيهرت بسجلماسة وآخر يربطها ببلاد السودان عبر ثلاث مسالك.

(الحريري. م. 1987 : 210)وهنا يذكر ابن الصغير المالكي : أن السبل استعملت إلى بلد السودان وإلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعة. (ابن الصغير .1986: 36.)

4- الطرق التجارية في تيهرت:

أصبحت تيهرت عاصمة الرستميين نظرا لهذه العوامل مزدهرة ازدهارا كبيرا حتى صارت مجمعا للتجارة والشهرة العالمية، إذ سميت " بالعراق الصغير" أو عراق المغرب أو بلخ المغرب (George M. 1946.104)تشبها ببلاد العراق الصاخبة بمختلف الأجناس و الملل، (الباروني. س. 2002 :10) فاتسع نطاقها وأمنت طرقها، وتحولت قراها إلى مدن ومراكز عامرة بالتجارة و أصحاب الأموال والأسواق، و عرجت عليها طرق التجارة الزاهية، من شمال إلى جنوب، أو من شرق إلى غرب فكانت من مصر وإفريقية و المغرب. (حسن أحمد . م. 1999: 121)فأقامت علاقات تجارية مع مختلف الدول الإسلامية التي عاصرتها، مغربية كانت أم مشرقية بالإضافة إلى بلاد السودان. ويعود ذلك إلى تفاعل عدة عوامل جعلت من أهم المراكز التجارية في المغرب الأوسط.

و قد لعبت الإباضية دورا كبيرا في إنعاش التجارة في المغرب الأوسط، و ببلاد الصحراء فضمنت جماعات كبيرة من التجار الذين وجدوا الأمن في ظل الأئمة، (مؤنس. ح. 1996: 120)و لهذا تحولت تيهرت إلى مركز تجاري نشيط خلال القرنيين الثالث الهجري و التاسع الميلادي، بحيث كانت قوافل التجار تدخل من تيهرت و تخرج جنوبا حتى واحة الأغواط في جنوب الجزائر الحالية، و من ثم يتجه بعضها شرقا إلى فزان (اليعقوبي. 2001 :198).و من ثم إلى جبل نفوسة وطرابلس و يتجه بعضها إلى وارجلان، التي تعد مركزا تجاريا على أبواب الصحراء الكبرى (سالم.ع. د.ت:577)، كما كانت القوافل التجارية، تصل إليها من فاس والقيروان و سجلماسة و بلاد كوكو في شمال السودان الغربي.عرف المغرب الأوسط عبر تاريخه عدة طرق ومسالك تجارية، سواء أكانت برية أو بحرية ساهمت في إنماء و إنعاش الحركة التجارية داخله وخارجه ومن أهم هذه الطرق التجارية التي كانت تنطلق من تيهرت والتي يمكن إجمالها في مايلي:

أ. طريق تيهرت موانئ المغرب الأوسط:

من خلال المصادر التاريخية نلمس أن طرقا كانت تربط مدينة تيهرت بعدة موانئ على الشريط الساحلي، ومن جملة هذه المراسي المعرفة لدى المؤرخين نجد ميناء تنس، ومرسى فروخ ومرسى الدجاج ومرسى الخرز، ومرسى مدينة وهران. وتكون قد استعملت من أجل التعامل مع قرطبة عاصمة الدولة الأموية في الأندلس .

فلم تكن العلاقات السياسية هي كل ما يربط الرستميين بالإمارة الأموية في بلاد الأندلس،بل قامت بين الدولتين علاقات اقتصادية وثيقة، وتتمثل خاصة في المبادلات التجارية، ومما ساعد نموها تلك التسهيلات التي منحها الرستميون للتجار القادمين من الأندلس،حيث فتحت أمامهم الطريق إلى سائر

العالم الإسلامي، وقد قويت العلاقة التجارية في ظل حاجة الأمويين بالأندلس إلى مختلف المنتجات وبخاصة الزراعية منها إضافة إلى أن الأندلسيين كانوا في حاجة إلى أسواق خارجية لتصريف المنتجات الفائضة عن حاجتهم. (بوباية. ع. 2005: 388)

فتح الرستميون الموانئ التابعة لهم في كل من تنس التي بنى القسم الحديث منها جماعة من البحريين الأندلسيين في سنة 262هـ/ 872م (البكري. أ . 1857م : 70)، ومرسى فروخ الدجاج ووهران التي بناها جماعة من الأندلسيين في عام 290هـ (العربي. إ.1984: 140) لاستقبال البضائع الأندلسية ولا سيما المنسوجات الحريرية، كما قاموا بدور الوسيط في نقل هذه المنتجات وتصريفها في بلاد السودان ومصر وبلاد المشرق الأخرى، كما أن الرستميين كانوا يزودون الأندلسيين بسلع مختلفة كانوا في حاجة إليها وبخاصة المنتوجات الزراعية والعبيد، وبذلك أصبحت الدولة الرستمية سنداً قوياً للإمارة الأموية في عمليات التصدير والاستيراد، وتزويدها بكل ما تحتاج إليه، ونتج عن ذلك نشاط الأساطيل التجارية الأندلسية، وازدهار المدن والموانئ الرستمية والأندلسية على حدّ سواء.كما كان التجار يسلكون طريقا بريا من تيهرت إلى طنجة وسبتة عبر مدينة تلمسان ومن ثم إلى الأندلس عبر مضيق جبل طارق. (المقدسي 1906: 247)

ب. طريق تيهرت القيروان:

كانت تيهرت ترتبط بمختلف العواصم المغربية الأخرى بواسطة طرق متشعبة قصد التجارة بتصدير و استيراد المنتوجات و السلع. ومن العواصم المغربية التي ارتبطت بتيهرت نجد القيروان، فنجد القوافل تمر عبر الأوراس و الزاب هذا إذا عبرت طريقا تليا .ويمر هذا الطريق ببغاي وبلزمة وطبنة وأدنة ببلاد الزاب إلى أن يصل إلى تيهرت.

وقدم "ابن حوقل" تفاصيل حول هذا الطريق الذي يربط القيروان و تيهرت، فهو يجتاز مرماجنة هذه المدينة التي اعتبرت أول مفترق طرق، إذ يتفرع منها طريقان، واحد باتجاه شمال غرب في ناحية تيجس، والآخر باتجاه الغرب في ناحية مسكيانة ثم باغاي. ومن هذه المدينة نحو دوفانة ودار ملول ثم نحو طبنة ومقرة، والمسيلة لتنتهي بتيهرت. (ابن حوقل.1928: 84-85)

أما إذا عبرت القوافل طريقا صحراويا فإنها تتجه إلى ورجلان عبر جبال عمور ثم إلى القيروان، وقد سارت قوافلها حتى إلى المشرق، (جودت عبد الكريم .ي . 1992 : 289-293)ومن خلال هذا نستنتج طبيعة العلاقات الطيبة و الحسنة بين المدينتين. (بلعربي. خ. 2006: 237)

و قد ذكر "الإصطخري" هذا الطريق بإيجاز شديد، مكتفيا بالإشارة إلى أنه يستغرق مسيرة ست وثلاثون مرحلة على الإبل (الإصطخري . 1961 :.3)،بينما ذكرها "البكري" بتسع عشر مرحلة. (البكري. أ .

1857م : 79)ويعد طريقا حافلا بالمتاعب و المشقات إلا أنه رغم ذلك فهو عامر بالحركة على مدار السنة.(جودت عبد الكريم .ي . د ت: 117)

كما استعمل الطريق البحري، فللقيروان أسطول ولتيهرت مراكب ترسو بالموانئ التي تحت نفوذها حيث كانت القوافل تخرج من تيهرت إلى تنس ومن هناك إلى طبرقة ومنها إلى ميناء تونس، لتقوم القوافل البرية بنقلها إلى داخل إفريقية والقيروان وغيرها من المدن(ابن حوقل.1928: 85)

أ. طريق تيهرت فاس:

تأخذ القوافل المتجهة إلى فاس طريقا يمر عبر مسالة الهواري ومنها إلى مدينة يقال لها يلل ومنها إلى تلمسان و أحوازها ومنها إلى فاس. (حاجيات. ع وآخرون . 2007 :71)ويشير "المقدسي" و"ابن حوقل" (الإصطخري . 1961 :37) في وصفهما لهذا الطريق، ويحددان مسافته فيذكران" و ومنها إلى أفكان ومنها إلى مدينة تلمسان ثم إلى مدن العلويين، ويستمر هذا الطريق إلى مدينة نكور ومنها إلى فاس، ويستغرق الطريق بين مدينتي تيهرت وفاس حوالي خمسين يوما. والمدن التي على طول الطريق تعتبر محطات تجارية رئيسية (جودت عبد الكريم .ي : 206)

ب. طريق تيهرت سجلماسة:

كانت العلاقة السياسية بين تيهرت وسجلماسة علاقة طيبة حسنة تربطها المصاهرة كما كانت العلاقة مزدهرة بفضل الطريق الذي يربط تيهرت بسجلماسة عبر تلمسان وطريق آخر يربط تيهرت بفاس وسجلماسة (مطهري. ف . 2010 : 174) فكان اليعقوبي أول من أشار إلى وجود طريق يربط المدينتين (بلعربي. خ. 2006: 238) فذكر : " أن من خرج من تاهرت سالكا الطريق بين القبلة والغرب سار إلى مدينة يقال لها أوزكا بها فخذ من زناتة يقال لهم بنو مسرة"، ثم يواصل اليعقوبي تتبعه للطريق ، فيضيف أنه من مدينة أوزكا لمن سلك مغربا إلى أرض زناتة ثم يسير إلى مدينة سجلماسة ويزيد في وصف هذا الطريق فيذكر أن به قرى ليست بآهلة وفي بعضها مفازة ومن المحتمل أن تكون هذه القرى عبارة عن محطات للقوافل التجارية المتنقلة بين المدينتين. ويذكر أن المسافة بينهما عشر مراحل. (جودت عبد الكريم.ي : 224)

وقد قدر المؤلف نفسه المسافة من تيهرت إلى أوزكا بثلاث مراحل، ومن هذه المدينة إلى سجلماسة بسبع مراحل أو نحوها على حسب الجد في السير والتقصير، أي أن المسافة بينهما حوالي عشرة مراحل. في حين أحصى "الحموي" مسافة هذا الطريق بعشرة أيام.

ولكن لا نعرف على وجه التحديد هل هو الطريق نفسه الذي ذكره البكري بقوله: " على مدينة وجدة طريق المارة والصادرة من بلاد المشرق إلى سجلماسة وغيرها من بلاد المغرب" (البكري. أ . 1857م : 82)وهو الذي ذكره الإدريسي وتقدر مسافته بخمسة عشر مرحلة. (الإدريسي. 1983 :44)

وبالتالي يكون الطريق من تيهرت إلى تلمسان ثم إلى وجدة ومن هناك إلى سجلماسة، هذا الطريق عد طريقا مباشرا. أما الطريق الغير مباشر هو من تيهرت إلى فاس ومنها إلى سجلماسة وكانت الحركة به نشطة. (جودت عبد الكريم .ي : 224)ومن سجلماسة يتفرع الطريق إلى بلد أغمات ثم إلى ماسة، وإن كانت تيهرت بوابة سجلماسة إلى المشرق باعتبار تيهرت تقع على طريق شرق غرب، فسجلماسة عدت مدخلا لابد من اجتيازه إلى بلاد السودان وهي تبعد عن تيهرت بخمس وثمانين مرحلة حسب الإصطخري. (الإصطخري . 1961 :36)

ج. طريق تيهرت بلاد السودان:

ارتبطت تيهرت بالسودان اتصالا تجاريا وذلك عن طريق القوافل التجارية نحو أقطار السودان الوسطى والغربية والشرقية فتصل إلى ساحل الذهب وساحل العاج وتشاد والنيجر ونيجيريا وبلاد الداهومي وغانا وغينيا ومالي ولبيرية.

وكان هذا الارتباط عبر طريقين رئيسيين:

الأول طريق غربي: ينطلق هذا الطريق من تيهرت إلى سجلماسة ومنها تسير القوافل على الطريق المؤدي إلى تغازا ثم إلى أودغشت ومن هناك إلى غانا والطريق من سجلماسة إلى أودغشت إحدى وخمسون مرحلة حسب البكري الذي يصف هذا الطريق إذ يقول " ومن مدينة سجلماسة ندخل بلاد السودان إلى غانة وبينهما وبين مدينة غانة مسيرة شهرين في صحراء غير عامرة" (البكري. أ . 1857م : 149).

وقد وصف الجغرافيون الطرق المؤدية إلى السودان الغربي بأنها طرق محفوفة بالمخاطر ، يتعرض مرتادوها لقطاع الطرق وفي هذا الصدد عملت الدولة الرستمية على تأمين تلك الطرق، وحتى القبائل لعبت دورا كبيرا في هذا المجال، ضف إلى ذلك قلة الماء وهبوب الرياح والزوابع. وما يمكن قوله عن الطريق الرابط بين تيهرت والسودان أنه في الحقيقة طريق ربط بين عدة مناطق في بلاد المغرب الإسلامي، أولها القيروان والأندلس، وحتى دول المشرق.

الطريق الثاني شرقي:

حيث يخر ج التجار من تيهرت إلى حصن ابن كرام ومنه إلى إمارة هاز،ثم إلى بلد بني دمر، ثم يصلون إلى بوابة بلاد الزاب من الجهة الغربية وهي أدنة،(اليعقوبي. 2001 :107-109)ومنها إلى المسيلة، كما أشار إليه "ابن حوقل" قبل وصول مدينة مقرة. (ابن حوقل.1928: 87) ويتواصل السير إلى طبنة ومنها إلى بسكرة ثم إلى ورجلان ومن هذه النقطة مرورا إلى منطقة أدرار، وأفوقاس وصولا إلى تادمكة التي كانت مركزا تجاريا هاما، ويقع في قفار ومفازات(البكري. أ . 1857م : 182). وهي في شمال شرقي منحى نهر النيجر. ثم يستمر السير إلى مدينة كوكو ومنها إلى غانة و المراكز السودانية الأخرى. (البكري. أ . 1857م: 183)وكانت هذه الطريق من أصعب الطرق التجارية لوقوعها في منطقة حارة جافة لذلك كان السفر في

أوقات معينة وهي فصل الشتاء (ابن حوقل.1928: 103)وهناك العديد ممن أشاروا إلى معاناة المسافرين إلى السودان من شدة الحر، حيث ذكر كل من القزويني والحموي والبكري حكاية السودان بقولهم: " دخل أعرابي من اليمن يقال له أبوهلال تاهرت ثم خرج منها إلى أرض السودان مع ركب التجار، فأتى عليه يوم له وه جو حر شديد وسموم في تلك الرمال فنظر إلى الشمس مصحرة راكدة فقال: " أما والله لقد غرزت في هذه الرمال لطالما رأيتك ذليلة بتيهرت" (البكري. أ . 1857م : 67)

5-التجارة الخارجية للمدينة تيهرت: إن الدارس لمختلف المصادر التاريخية للرحالة والجغرافيين يمكنه الخروج بفكرة عامة حول مدينة تيهرت وأنها ذات نزعة زراعية بسبب غناها بالثروات الزراعية المختلفة وبخاصة الحبوب وعلى رأسها القمح والموارد الطبيعية مثل الخشب والملح وغيره. (صفي الدين .م 2013: 389).

وتجارية بسبب وقوعها على طريقين تجاريين هامين مما أهلها للعب دور الوسيط التجاري بين دول البحر الشامي ودول جنوب الصحراء من جهة ومن جهة أخرى اعتبرت محطة للقوافل التجارية المتجهة من الشرق إلى الغرب أو العكس. فتحكمت تيهرت في الطرق التجارية التي كانت تمر بها أو تنطلق منها إلى ما سواها شرقا وغرب شمالا وجنوبا. مما جعلها مقصدا للتجار من كل الأنحاء للمتاجرة فيها. (ابن الصغير المالكي.1986 : 36).

استغلت تيهرت هذه الخصائص مما جعلها تربط علاقات تجارية مع مختلف دول الجوار، فارتبطت مع إفريقية التي شهدت على عهد الأغالبة ازدهارا ملحوظا في المجال الزراعي والصناعي حالها حال تيهرت مما وفر ظروفا ملائمة للتجارة ، فكان التبادل في مختلف السلع والمنتجات، فصدرت تيهرت للقيروان الحبوب (ابن عذارى المراكشي، . 1993: 116-117) والفواكه كالسفرجل والتين إلى جانب العسل والسمن بالإضافة إلى الأغنام، وقد وفر الرستميون العبيد ولعبوا دور الوسيط بين السودان و القيروان ومختلف المدن. أما واردات تيهرت تمثلت في بعض المنتجات الزراعية و الصناعية مثل الزيت والآلات الحديدية والسيوف و الأدوات الزراعية (جودت عبد الكريم.ي: 115)

كما ارتبطت تيهرت مع المغرب الأقصى تجاريا رغم العداء السياسي بين الأدارسة والرستميون (محمود. إ .1991: 147)فصادرات تيهرت إلى فاس تمثلت في المنتوجات الزراعية والحيوانية وجلب الرستميون سلعا و لو كانت الحاجة قليلة إليها كقصب السكر من بلاد السوس (جودت عبد الكريم.ي: 208-209)

وما يمكن قوله أن منتجات المغرب الأقصى كانت تصل إل المغرب الأوسط بحكم القرب الجغرافي والتعامل التجاري الدائم على الطرق الرابطة بينهما.

إلا أن أعظم العلاقات التجارية هي التي قامت بين تجار تيهرت وبلاد السودان الغربي فكان تجار تيهرت يصدرون إلى السودان سلعا وبضائع متنوعة ومختلفة فكان بعضها مغربية والأخرى مشرقية، فضلا عن السلع والبضائع من حوض بحر الروم، حملها التجار العرب عبر الطرق الصحراوية المتعددة التي تربط بلاد المغرب بالسودان. ومنها المنتوجات الصوفية والقطنية والكتانية وأواني الزجاج والفخار والخزف ذي البرنق المعدني، والجلود والحبوب والتمر التي عدت من السلع الأساسية التي نقلها التجار المغاربة إلى بلاد السودان (البكري. أ . 1857: 158)،لعدم توفرها عندهم والملح إلى بلاد السودان لندرته عندهم فيبيعونه هناك بأسعار مرتفعة للغاية، ويذكر الرحالة والجغرافي الشهير ابن حوقل الذي زار أودغشت 951/340م أن ثمن حمل من الملح كان يتراوح بين مائتين إلى ثلاثمائة دينار من الذهب (ابن حوقل.1928: 151)ويعودون محملين بالذهب والعاج وجلود الحيوانات (الميلي.م. د.ت: 75).والعطور وريش النعام وجوز الكولا. فسلعة الذهب التي كانت مطلوب بكثرة في بلاد المغرب وأوروبا فكان تجار الدولة الرستمية يحصلون عليها من بلاد غانا الشهيرة بمناجم الذهب حتى إن المؤرخين والجغرافيين العرب أطلقوا عليها بلاد الذهب (المسعودي. 1861: 39). وكذا العبيد من أجل جعلهم خدما كما كانوا يستخدمون كيد عاملة في شتى الحرف. (جودت عبد الكريم.ي . 1992 :. 226)، ولقد كان للاتصال بين تجار تيهرت وأهالي هذه البلاد آثار واضحة في سلوكهم وملبسهم وطرق معيشتهم. ومن نتائج الاتصالات الاقتصادية و السياسية بين تيهرت و السودان الغربي انتشار الحضارة الإسلامية بالتدريج أدى في النهاية غلى تكوين دول إسلامية كبرى مثل غانة ومالي و سنغاي و كانم (خالدي.م 2013: 86)

فتجار تيهرت حملوا معهم الإسلام إلى هذه الجهات، وكثيرا ما كان يرافق القوافل التجارية عدد من فقهاء المسلمين الذين خالطوا أهل بلاد السودان وتركوا فيهم آثارا بعيدة المدى، و بطبيعة الحال كان الأثر الذي تركه التجار المسلمون في نفوس الأهالي أكثر بكثير من المذهب الذي كانوا يحصلون عليه، وتعتبر جهود هؤلاء الفقهاء الأسس التي قامت عليها دولة مالي الإسلامية التي كان غالبية سكانها مسلمين لهم مساجدهم و فقهاؤهم. وقد ظهرت في هذه المناطق بعض المؤثرات الإباضية التي تركها تجار الإباضية تمثلت في بعض ممن شاهدهم ابن بطوطة من إباضية الخوارج في بلاد السودان، (ابن بطوطة. 1989 :67)وصاحب انتشار الإسلام اللغة العربية، فكان الكثير ممن يتكلمون أو يجيدون الحديث باللغة العربية إلى جانب لغتهما الخاصة. (الحريري. م. 1987 : 213)

6 – خاتمة:

عرضت هذه الدراسة إلى أهم الطرق والمسالك في الغرب الأوسط وخاصة المارة أو المنطلقة من تيهرت فنجدها متعددة ومتشعبة يمكن تقسيمها إلى طرق رئيسية وفرعية .

لقد لعبت الطرق و المسالك أدورا مهمة من ربط بين المدن و الأقطار إلى تسهيل رحلة الحج وطلب العلم.

مكنت الطرق و المسالك تيهرت من ولوج صرح الحركة التجارية وتزعمها فطبيعة الموقع الاستراتيجي جعل مدينة تيهرت منفذا وممرا رئيسيا إلى مختلف المناطق من بلاد السودان إلى المغربين الأدنى و الأقصى.

عملت الكيانات السياسية على حماية المسالك وضمان استقرارها وأمنها من أجل حماية تجارتها وضمان حاجياتها.

قائمة البيبليوغرافيا:

ابن الصغير المالكي،(1986)أخبار الأئمة الرستميين، تح: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

ابن بطوطة(1989) تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تقديم محمد سويدي، الجزائر

ابن حوقل(1982)صورة الأرض، دار صادر، بيروت

ابن خلدون عبد الرحمن، (2001)العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب و العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج6، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان

ابن عذارى المراكشي،(1993) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تح: ج س كولان وليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت.

أبو زكريا يحي بن أبي زكرياء،(1984) كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تح : إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

الإدريسي (1983) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (القارة الإفريقية)، تحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة العامة للنشر و الإشهار، الجزائر.

الإصطخري(1961) المسالك والممالك، تحقيق، محمد عبد العال الحسني، القاهرة، دار القلم.

الإصطخري، (1870) المسالك والممالك، طبعة بريل، ليدن

البكري أبو عبيد الله، (1857)المغرب في بلاد إفريقية والمغرب ، نشر البارون دوسلان ، مطبعة الحكومة العامة ، الجزائر،

البكري، (د.ت)المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

الحموي ياقوت ،(1977) معجم البلدان، ج2، دار صادر، بيروت..

المسعودي,أبو الحسن علي، (1861) مروج الذهب , ترجمة وتحقيق ديمينارد باريس : المطبعة الإمبراطورية, النص العربي.

اليعقوبي،(2002)البلدان، منشورات محمد علي بيضون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
اليعقوبي،(د ت) البلدان،علق عليه ووضع حواشيه محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان

إسماعيل محمود ،(1991) الأدارسة، حقائق جديدة، مكتبة مدبولي، مصر.

الباروني سليمان(2002) الأزهار الرياضية في أئمة و ملوك الإباضية، ج2، ط3، دار البعث، قسنطينة .

بحاز إبراهيم، (1993)، الدولة الرستمية، دراسة في الأوضاع الاقتصادية و الحياة الفكرية، ط3، نشر جمعية التراث، القرارة، ،

جمعة علي،(د ت) المكاييل والموازين الشرعية، دار القدس للإعلان و النشر و التسويق، القاهرة
جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، د.ط ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

حاجيات عبد الحميد وآخرون(2007) ، كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر 1954،

الحريري محمد عيسى، (1987)، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي(حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب و الأندلس 160-296هـ)، ط3، دار القلم للنشر و التوزيع.

سالم السيد عبد العزيز، (د.ت) تاريخ المغرب الكبير، العصر الإسلامي، دراسة تاريخية و عمرانية و أثرية، دار النهضة.
عبد الحكيم،(1968) محمد صبحي وآخرون ، الوطن العربي (أرضه وسكانه وموارده)" ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،.

لعلوي هاشم،(1995) مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع الهجري، منتصف القرن العاشر الميلادي، الرباط، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ج 1.
محمود حسن أحمد و منى حسن محمود، (1999)،تاريخ المغرب و الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة.
مؤنس حسين، (1996) تاريخ المغرب و حضارته من قبيل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، ج1، ط1، دار الحديث للنشر و التوزيع، بيروت.
الميلي مبارك، (د.ت)، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، دار الغرب الإسلامي ،بيروت

يوسف جودت عبد الكريم،(1992) ، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين 10/9م، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية،

George Marçais,(1946) la berberie Musulmane et l’orient au moyen age, Paris,

بلعربي خالد،(2006)، العلاقات التجارية بين تاهرت ومراكز التجارة في بلاد المغرب و الأندلس حتى أواخر القرن الثالث الهجري، مجلة الآداب و العلوم الإنسانية عدد 5 ، الجزائر

بوباية عبد القادر (2005) علاقة الرستميين بالإمارة الأموية في الأندلس، مجلة التراث العربي ع 99-100، مجلة محكمة تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

خالدي مسعود(2013) ، الصلات الاقتصادية والدبلوماسية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي، مجلة كان التاريخية، سنة 6، ع 20، جوان.

صفي الدين محي الدين،(2013)، حرفة التجارة في تيهرت الرستمية، مجلة الناصرية، ع 4، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر 2013

مزرعي سمير ،(2015) الطرق التجارية في المغرب الأوسط، ودورها في تنشيط الحركة التجارية، مجلة كان التاريخية، سنة 8، ع 28، يونيو.

مطهري فطيمة،(2010)، مدينة تيهرت الرستمية، دراسة تاريخية حضارية(ق2-3 هـ /8-9م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير غير منشورة، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان،